الواحات (١)

تقع اراضي وادي النيل الخصبة بين صحراوين شاسعتين وتبلغ مساحة الصحراء الغربية التابعة لمصر نحو ٥٠٠ مليون من الافدنة وهي ليست الا جزءاً من صحراء افريقيا وفيما عدا الاجزاء القريبة من شاطيء البحر الابيض تكاد تكون عديمة الامطار بخلاف الصحراء الشرقية التي تنزل فيها الامطار ولذلك تنمو فيها العشاب ولا تنقطع منها موارد الماء فيسكنها من اجل ذلك عدد من العرب الرحالة . اما

---

(١) ننشر هذا البحث بمناسبة تمثيل الواحات في المعرض الزراعي الصناعي العام بمعرفة مصلحة اقسام الحدود . وقد فرشت قطعة من أرض المعرض برمل تغور فيه الاقدام واريد بذلك تمثيل الصحراء وفي مكان منها عرضت معروضات محافظة سيناء ودير طور سينا ومحافظة الصحراء الغربية ومن هذه المعروضات بعض النباتات البرية التي تستعمل طبيا (وسنتكلم عليها في موضوع آخر من هذه المجلة) وهناك خيمة من عرب سينا ومعهم مواشيهم بشكل يبين نوع حياتهم في الصحراء وخيمة اخرى لعرب الصحراء الغربية وهناك نموذج بالحجم الطبيعي لبئر من آبار الصحراء ولمعصرة الزيت في سيوة . ثم زريبة فيها وعل وووبر من سيناء وغزال من الصحراء الغربية وحجل وقطا !

صحراء ليبيا فتكاد تخلو من المزروعات وعيون الماء ولهذا لا يسكنها هؤلاء الاعراب الا ان هناك قطعاً منعزلة من الارض الخصبة وهي الواحات تستمد مياهها من الماء الارضي وهناك سكان مقيمون فيها

وليس تاريخ الواحات معروفاً تماماً غير انه توجد عدة آثار لمدن ومدافن قديمة . ومن الواضح ان الواحات كانت مسكونة في العصور السابقة للتاريخ حيث توجد الآت صوانية من نوع العصر الحجري . وفي العصور التاريخية ان ملوك مصر من العائلة الثامنة عشر (سنة ١٥٤٥ — سنة ١٣٥٠ ق . م) حكموا الواحات وتوجد لهم بعض آثار فيها غير ان اهم الآثار الموجودة ترجع الى حكم الفرس واخصها معبد هيبس بالقرب من الخارجة وقد بناه داريوس وتوجد آثار من عهد البطالسة في الخارجة ويظهر ان الواحات كانت على عهد الرومان في اشد ما كانت من العمران ولهم فيها آثار عديدة وقد استمر هذا العمران على عهد القبط وتلاشى ايام الفتح الاسلامي وقد كان الرومان يعنون بصيانة محطات الماء على امتداد الطرق مابين الواحات ووادي النيل وكانت عنايتهم عظيمة بحفر الآبار . ويرى من آثار اعمالهم في ذلك مجاري تحت الارض قدت في الصحراء الصلب لمسافات طويلة لاجتماع المياه من الطبقات الارضية وتتصل بالسطح بعدة مسالك هوائية عمودية يبلغ طول بعضها ٣٠ — ٥٠ متراً ولا يخفى ما بذل من الجهود في مثل هذه المشروعات

وقد أهملت أعمال الري بعد الفتح الاسلامي وسدت بعض الآبار فاقفرت الواحات وكست الرمال عدة أراضي خصبة وهجرها اكثر الاهالي لسكنى وادي النيل

وتوجد اربع واحات مهمة بالقطر المصري وكلها واقعة بصحراء ليبيا بالجهة الغربية من وادي النيل وفيما يلي بيانها :

واحة سيوه — وهي واقعة بالجهة الشمالية من الصحراء وتبعد ٢٠٠ ميل عن البحر الابيض المتوسط ومثلها عن طرف وادي النيل

الواحات البحرية — كائنة على بعد ١٠٠ ميل غربي وادي النيل في بقعة جنوبي القاهرة بمائة واربعين ميلا

الواحات الخارجة — تبعد عن الجهة الغربية لوادي النيل تجاه الاقصر بمائة واربعة وعشرين ميلا

الواحات الداخلة — وافعة غربي الواحات الخارجة وتبعد عنها ١٢٤ ميلاً أيضاً
وهذه الواحات مأهولة بالسكان وتعدادهم في كل واحة كما يأتي : —
واحه سيوه ٤٨٨٠ نفساً والواحات البحرية ٧٠٠٠ نفساً والواحات الخارجة ٨٥٠٠ نفساً والوحات الداخلة ١٩٠٠٠ نفساً

وسكان واحة سيوه قاطنون في قرية واحدة ومحلة بجوارها اما في الواحات البحرية فالسكان في ثلاث قرى تبعد عن بعضها ثلاثة اميال وفي الخارجة توجد قريتان ومحلتان منتشرة في بقعة تقرب مساحتها من ٥٠ ميلا اما الوحات الداخلة فهي عبارة عن ١٢ قرية في ارض تبلغ مساحتها نحو ٣٠ ميلا

وكل هذه الواحات تشبه بعضها من الوجهة الجغرافية في كثير من الحالات فهي تقع كلها في بقاع كبيرة منخفضة من الارض في صحراء ليبيا وحجم كل بقعة تختلف عن الاخرى والواحات الخارجة اكبرها ويبلغ طولها نحو ٨٠ ميلا وعرضها ٢٠ ميلا تقريباً ولكن جزءا كبيراً من هذه البقعة قحل لانبات فيه وتنشأ القرى في الامكنة التي تكثر فيها الآبار وقد تمتد الاراضي الزراعية حول القرية منها بمسافة كيلو مترين او ثلاثة ولكن بعيداً عن منطقة القرية حيث تقل الآبار لاتوجد اراض زراعية الا في بقع صغيرة تحيط ببعض الآبار

وكل هذه الآبار عميقة ويخرج ماؤها بقوة الضغط الناشيء منها وآبار سيوه والواحات البحرية هي عبارة عن عيون طبيعية آتية من طبقات تحت الارض وآبار سيوه مبنية رؤوسها بالحجارة اما آبار الواحات البحرية فتتدفق المياه منها في منحدر الصخور وآبار الخارجة والداخلة عبارة عن عيون عميقة يصل عمق بعضها الى ٤٥٠ قدماً وهي مجهزة بخرزات من الخشب واهم نقطة تتعلق بهذه الآبار كلها هي ان مياهها تخرج بقوة دافعة كامنة فيها لاسلطان لاحد عليها

وتجري مياه هذه الآبار في الاراضي المحيطة بها وتتسرب المياه الزائدة الى البقع المنخفضة بالقرب منها فالاراضي المجاورة لهذه الآبار حيث لاتوجد وسائل طبيعية للصرف تصبح غارقة في المياه . والماء الذي تحت تربة الارض يظهر على سطح كل بقعة منخفضة منها

وفي حالة عدم وجود طريقة لصرف المياه يعمد الزراع لشق مصارف عميقة

حول بساتين النخيل لصرف الماء الزائد عن حاجة بساتينها وهذه المصارف من أهم الاماكن لتوالد البعوض

والارز في جميع الواحات عدا واحة سيوه هو اهم محصولاتها وفي كل قرية من القرى تصل مزارعه في الواقع حتى دور القرويين

وتشبع هذه الآبار في آخر الامر اما عاجلا أو آجلا لاي سبب من الاسباب فيقل الماء النابع منها ثم ينقطع في النهاية وما كان منها عميقاً أو غير مستعمل يصبح حتما من اماكن توالد البعوض

وفي الخمسين سنة الاخيرة عنيت الحكومة بحفر ابار عديدة الا ان عدم الرقابة الكافية على هذا العمل أدى في السنين الاخيرة الى وقوع ضرر بحفر آبار على غير هدى كما ان مقادير عظيمة من الماء تفقد بسبب عدم اقامة الاجهزة اللازمة لتنظيم خروج المياه وقفل الآبار

وقد استرعت صحراء ليبيا اهتمام المصريين اخيراً فقام الرحالة احمد بك حسنين بارتياد بعض مجاهلها ويقوم بعض الامراء برحلات استكشافية فيها كما ان مصلحة المساحة اجرت فيها عدة ابحاث جيولوجية (١) ووزارة الزراعة ومصلحة التجارة والصناعة ارسلت بعض كبار موظفيها للنظر في تعمير الواحات وقد بدأ الاهتمام يزداد بذلك وبتسهيل المواصلات بين الوادي والواحات ولا شك ان استكشاف مسالك الصحراء وتعمير الجهات القابلة للسكنى فيها من أهم واجبات مصر المستقلة

وللزملاء الزراعيين عدة رحلات نباتية وزراعية الى شواطىء البحر وفي الصحراء وواحاتها وقد نشرنا في اعداد المجلد الاول لهذه المجلة سلسلة من الابحاث الخاصة بالزراعة الجافة وما يرجى منها في مريوط وفي السنة الثانية من المجلة (صفحة ٢٢١) نشرنا مقالة عن وسائل الري في الواحات الخارجة وفي العدد الخامس من السنة الرابعة نشرنا شيئاً عن الواحات ضمن مقالة التوزيع الجغرافي للنباتات المصرية

ونرى من واجبنا متابعة هذه الابحاث على صفحات هذه المجلة لهذا ننشر فيما يلي الجزء الخاص بالزراعة وما يتعلق بها من تقرير مفتشين من مفتشي مصلحة التجارة والصناعة قدماه عن واحة سيوه عقب زيارتهما لها

---

(١) ظهر اخيراً الجزء الاول من جيولوجية مصر بالانجليزية بقلم الدكتور هيوم مدير الابحاث الجيولوجية وفيه معلومات قيمة عن الصحراء وتكوينها

واحة سيوه

واحة سيوه على بعد ٣٠٤ كيلو متر من مرسي مطروح (١٨١١ م من مصر) و ٣٣٥٤ ميل غربي النيل من بني سويف وهي جزء من ذلك الوادي المنخفض عن سطح البحر بمقدار ٤٦ قدماً تقريباً ويوجد به أيضاً سلسلة من واحات صغيرة بها عيون ونخيل (وتبلغ مساحة الواحة من ٤ الى ٥ اميال مربعة) ويزرع ربع هذا المقدار أما الباقي فيشتمل على اراض مغطاة بطبقة من الملح او بحيرات مالحة ويبلغ عدد سكانها الآن حوالى اربعة آلاف نسمة

عيون سيوه — اهم ما يلفت انظار القادم الي سيوه عيونها الكثيرة التي كان يبلغ عددها الى عين الا انها اصبحت الآن لا تزيد على المائة وخمسين عيناً لاهمالها وعدم الاعتناء بها. واهالي سيوه يستعملون ما يقرب من الثمانين عيناً وذلك لشربهم وري اراضيهم والماء في هذه العيون رائق وذو فقاقيع تتصاعد فيه من قاع العيون حتى يخيل للناظر أن الماء يغلي من شدة تصاعدها وتكاثرها وبعض هذه العيون دافيء يستعمله الاهالي لغسل ملابسهم واستحمامهم وأعذب عين واصلحها للشرب هي عين « الشفاء » التي تبعد ٦ كيلو متر من سيوه في جوف الصحراء

وأهم العيون هي عين « القرشيد » التي تبعد ٢٤ كيلو متر من سيوه وحول هذه العين اراض واسعة صالحة للزراعة وتصب مياه هذه العين في بحيرة كبيرة مالحة تسمى بحيرة قرشيد ولا تستفيد الاهالي من ماء هذه البحيرة المتدفق لعدم وجود أيد عاملة ورؤوس مفكرة .

ومما يدل على خصوبة هذه الجهة وجود حديقة كبيرة بها كثير من الاشجار والنخيل ويقال ان الخديوي السابق شرع في استثمار هذه الاراضي بانشاء ترعة للري

الزراعة ومحاصيل سيوه — أراضي سيوه جيدة التربة واهالي سيوه يسمدونها بالرمال وفضلات الحيوانات وما الى ذلك من فضلات الانسان ودم الذبيح الذي هو اجود الاسمدة وانفعها للارض .

وترى أراضي سيوه من مياه العيون المتفجرة من الارض بطبيعتها وهي عديدة

كما ذكرنا قبلاً الا ان جل مياه تلك العيون يذهب جزافاً فيكون بركاً ومستنقعات ولا تنتفع الاهالي بهذه الهبة الطبيعية وذلك راجع لجهلهم بأساليب الري وطرق خزن المياه للاستفادة منها وقت الحاجة

ويظهر ان كثرة المستنقعات هي السبب في انتشار «حمى الملاريا» في الواحة ولولا عناية مصلحة الصحة بأن شقت مصارف عدة في البلد وتكلف ما يقرب من نحو ٦٠٠ جنيه سنوياً لتطهير واتلاف بويضات ناموس الملاريا لفتكت بالناس وهناك لكل واحد من أهالي سيوه الاغنياء (وقليل ماهم) قطة ارض أو قطعتان غالباً ماتكون فيهما عين الماء ليها مبعثر فيهما نخيل البلح ويتخللها بعض محاصيل اخرى

أما الفقراء منهم (وهم كثيرون) فلكل عشرة منهم قطعة من الارض مقسمة بينهم تماماً يستغلونها سواء اكان فيها من محصول النخيل أو بعض المزروعات الاخرى

وأهم محصولات سيوه هو البلح الذي يكاد يكون ثروتهم الوحيدة وأنواعه كثيرة منها «الصعيدي» ويصفون منه العجوة المشهورة «بعجوة سيوه» وتصدر للقاهرة والاسكندرية وكذلك جزء لمرب السوم ومطروح ومريوط وبراني والضبعة وجهات مريوط وجهات طرابلس الغرب ويقدر محصوله بما يقرب من ٣٤٠ ر ٠٠٠ اقة وتباع الاقة بمبلغ ٢٥ مليما.

ويبلغ ثمن هذا المحصول ٨ر٥٠٠ جنيه يستوردون بمعظمه من العرب الاغنام واللحوم المجففة «قديد» والشعير والالبان.

الغريمي — يقدر بنحو ثمن المحصول ويبلغ محصوله مايقرب من ١٠٠ ر ٠٠٠ اقة ويرسل عادة الى الاسكندرية

الغزاوي — وقيمته تعادل نصف قيمة البلح الصعيدي وتستهلكه الاهالي كمؤونة لهم ولحيرهم. وهو يشابه البلح «الامهات» الموجود بمصر وتباع الاقة منه بـ ٥ مليمات

ومما يؤسف له ان عدداً عظيما من النخيل يتلف كل سنة لجهل الاهالي بتربية النخيل وخدمته ونقله كذلك يضحون عدداً عظيما من هذا النخيل كل سنة ليستخرجوا منه مسكراً يعاقرونه في أفراحهم واجتماعاتهم وذلك بان يضعوه في قلب جمار النخلة قطعة من القاب فيمر عصير الجمار منها ويحضونه في وعاء ثم يحولونه بالتخمير الى مسكر شديد الوطأة على الاعصاب وقوي التأثير في الرأس.

الزيتون — هو ثاني محاصيل سيوه في الاهمية والكثرة ويقدر شجر الزيتون بما يقرب من عشرة آلاف شجرة تنتج ما يقرب من ٧٥٠,٠٠٠ أقة ويباع سدس هذا المحصول تقريباً للعرب والباقي تستهلكه الاهالي أما مثلا أو للصير لاستخراج زيته الذي يستعملونه لامور منزلية أو طبية كثيرة

القمح — ويزرع منه مقدار قليل لايكاد محصوله يبلغ ١٤٠ اردبا في السنة مع حاجتهم الشديدة اليه .

الشعير — تزرع منه كمية لاتزيد محصولها عن ٦٠٠ اردب في السنة تقريباً

الفواكه — يوجد بسيوه من الفواكه العنب الاسود والتفاح والخوخ والمشمش والبرقوق والرمان والليمون الملح والليمون الحلو والليمون الاضاليا والبرتقال وجميع الفواكه المذكورة تستهلك استهلاكا محلياً لقلتها ولا تباع الا نادراً جداً لبعض الموظفين فقط

الخضر — الخضر بسيوه : الباميه . السلق . الباذنجان . الطماطم . الفلفل . البطيخ . القثاء . البصل وذلك بكميات قليلة تكاد لاتفي بحاجة الاهالي . أما الملوخية والقرع العسلي والنعناع فيزيد عن حاجة الاهالي ويبيعونها للعرب والموظفين وعساكر الهجانة بسيوه . كذلك يزرع البرسيم الحجازي بسيوه ويظهر ان معدن الارض صالح له . أما الثوم فلا يستعمله الاهالي الا وقت المرض لاعتقادهم انه يشفي المريض ولقد بلغنا ان اهالي سيوه يأكلونه مدة اربعة ايام او اكثر في شهر اكتوبر من كل سنة لانتشار الحميات في هذا الشهر . ولقد يلذ للانسان ان يسمع بعادة منتشرة بين اهالي سيوه في هذا الموسم « موسم الثوم » وهي ان الرجال يهجرون نساءهم والنساء يعتزلن رجالهن في هذا الموسم

وفي مقدور اهالي سيوه ان يزرعوا قمحاً وشعيراً لسد حاجاتهم ويزيد لو انهم نسجوا على منوال الفلاح المصري واستعملوا المحراث البلدي لحرث اراضيهم ولكنهم يحرثونها بايديهم بواسطة (التوارت) وهذه الطريقة عقيمة جداً ومجلبة لضياع الوقت بدون جدوى . فلقد يأخذ الرجل شهراً كاملا لحرث فدان من الارض بهذه الطريقة ولا يخفى ماينجم عن ذلك من عدم امكان زرع اراض واسعة وانماء الثروة هناك .

حيوانات سيوه — الحيوانات بسيوه تكاد تكون معدومة لكسل الاهالي وجهلهم بتربية المواشي ولا يوجد الا العدد القليل من الابقار والخيل ويوجد بها الماعز والدجاج والارانب والحمام بحيث لايعد شيئاً مذكوراً بجانب تعداد السكان . ومما يحسن ذكره ما بلغنا عن احد الاطباء المصريين المدعو الدكتور تيمور انه ترك لاهالي سيوه في السنة الماضية عشرين أوزة بقصد تربيتها وافراخها فاصبح عددها الآن اربعين مما يدل على ان طقس هذه المنطقة موافق جداً للطيور ولولا جهل الاهالي بتربية الطيور لكان نتاجها أكثر بكثير من ذلك .

أما الابل فكانت لاتعيش في هذه المنطقة لوجود ذبابة تفتك بهذا النوع من الحيوان . ولقد عانت مصلحة اقسام الحدود كثيراً من جراء موت ابلها الا انها اهتدت اخيراً الى علاج شاف واق من فتك هذه الذبابة . ذلك ان الابل متى حقنت بحقنة ٦٠٦ المشهورة آمنت ضرر هذه الذبابة . ولقد نجحت هذه التجربة نجاحاً عظيما فاصبح لايخشى على وجود الابل في هذه المنطقة بعد هذه التجربة المنتجة .

الصناعة بسيوه — الصناعة في سيوه على حالتها الاولى من الفطرة وتحتاج الى تهذيب وتشجيع وارشاد وما يصنع نلخصه فيما يأتي :

الدقاقي — تصنع من الصوف الابيض ذو الفتل الغليظة وهي صناعة منزلية يتولاها قليل من الاشخاص لاغراض ذاتية

الحصر — تصنع حصر السمار وهي صناعة جيدة ويستعملونها للفراش والاثاث كذلك يصنعون حصر الخوص لاستعمالها في السقوف وفراشاً للفقراء منهم وعلى مثال تلك الصناعة تصنع الابراش والقفف وهي من الخوص وتستعمل لحفظ العجوة والبلح .

المراجين — المراجين والاسبات والاطباق تصنع من الخوص الرقيق الابيض يتلون بالالوان الزاهية . وهذه الصناعة تشبه تمام الشبه الصناعة التي يزاولها أهالي الدر بمديرية اسوان وبعض جهات السودان .

عصير الزيوت — يوجد بسيوه ما يقرب من العشرين معصرة وكلها على نظام

واحد وزامم يطحنون الزيتون بحجارة ضخمة تدار باكتاف الرجال بدل الحيوانات لعدم توفر الدواب ورخص العامل السيوي . ثم توضع كل ثلاث لفات تحت الكابسة (المعصرة) بواسطة الضغط على هذه اللفافات وذلك بعمود على شكل حلزوني (على شكل مربع) فيستخرج الزيت من الزيتون ويجري في وعاء من الفخار أو الصفيح في حفرة تحت الكابسة وبعد ان يمتلىء هذا الوعاء في صفائح يعرض للبيع وهذه الطريقة تشبه الطريقة التي تستعمل في الوجه القبلي لاستخراج زيت الحلس ويستخرج من صاع الزيتون (الصاع رطلين ونصف) مايقرب من رطل من الزيت وقد يعتقد الانسان ان هذا الزيت المستخرج من الزيتون لذيذ الطعم حلو الرائحة ولكن الواقع غير ذلك فانه يشبه زيت « الخروع » في الطعم والرائحة اذ لا يعرفون كيفية استخراجه وتنقيته ويجهلون معالجته معالجة تزيل منه هذه الرائحة وهذا الطعم ويستعمل المتخلف من الزيتون (بعد العصر) اما للوقود او طعاما للدواب

التجارة في سيوه — تتوقف ثروة اهالي سيوه على محصول البلح والقليل من الزيتون (لعدم وجود صناعات) فاذا كان المحصول قليلا شلت حركة التبادل ثم تعقبها ازمة شديدة في الحالة الاقتصادية يشعر بوطأتها جميع سكانها فنعيمهم وشقاؤهم يتوقف على هذين المحصولين

الصادرات — معظم الصادرات عن طريق سيوه هو البلح وترسل لصحراء طرابلس القفف واطباق الخوص وقيمة هذين الصنفين ٤٠ جنيها أو مايزيد قليلا

الاقتراحات (١) — يعلم مما تقدم ان سيوه يمكن ان تكون غنية سواء باراضيها الخصبة أو بتجارتها وذلك لحسن موقعها الجغرافي اذ انها حلقة اتصال بين صحراء طرابلس والقطر المصري .لذلك نقترح مايأتي:

أولا — ان تسهل طرق المواصلات بينها وبين مرسى مطروح والسلوم

ثانياً — ترسل بعثة من وزارة الزراعة لتحديد المحصولات التي توافقها تربة هذه المنطقة و ناخها لتنمية ثروة هذه الواحة والاستفادة من خصوبة أرضها

ثالثاً — ترسل بعثة من مصلحة الري لدرس حالة الري هناك وعمل

(١) اثبتنا هنا الاقتراحات المهمة من الوجهة الزراعية فقط

مشروعات لحفظ ماء العيون الذي يضيع هباء ويكون البرك والملاحات وهناك آثار ترعة صناعية تأخذ المياه من عين قدشيد يظهر عليها انها كانت نواة لمشروع تلك الاراضي الجيدة الموجودة حول هذه العين

رابعاً — اذا لم يستطع زراعة هذه الاراضي في الوقت الحاضر فيصح أن تغرس هناك غابات فالماء متوفر والارض خصبة فيكتسب القطر من جراء ذلك الاخشاب سواءاً كانت تستعمل لصناعة الاثاثات أم للوقود على ان هذه الغابات ستكون مأوى الغزال والثعالب وغيرها من الحيوانات الوفيرة هناك التي ينتفع بجلدها وفرائها .

خامساً — يجب انشاء سوق للبلح تتداخل فيه الحكومة حتى لا يغبن أهالي سيوه وقت بيع محصولهم الذي هو عماد ثروتهم كذلك لا يتلاعب بهم التجار فيأخذونه بأبخس الأثمان .

سادساً — حبذا لو أن محافظة الصحراء الغربية تهتم بتربية الاسماك في واحة سيوه فالماء وفير والبحيرات كبيرة والعشب مختلف

سابعاً — حبذا لو ان وزارة الزراعة ترسل نشرة صغيرة مكتوبة بلغة سهلة فهمها اهالي سيوه في تربية الدجاج والطيور وتفريخها اذ انهم يجهلون تمام الجهل هذه الصناعة التي يعلمها أحط فلاح مصري في الوجهين البحري والقبلي

ثامناً — يجهل هؤلاء الناس كيفية زراعة الفاكهة فيحق لوزارة الزراعة تعميم هذا العلم بين اهالي الواحة لما لاراضيهم من المزايا التي تليق بهذه الزراعة

ولا يفوتنا ان نذكر ان طريقة عصر الزيتون طريقة عقيمة ومقللة لكمية الانتاج ومسببة لعدم نظافة ورداءة الزيت ولكن يمكن تلافي ذلك اذا استخدمت وسائل أخرى